الشّخصيّة في رواية (فتح الأندلس) لجُرجي زيدان
مقاربة سيميائيّة

د. قاسم القحطانيّ[1] **نورا مصباح الفتيّح**[2]

الملخّص

يُعدّ الأدب الرّوائيّ مرآة تعكس الواقع وتعيد تشكيله، فهو يقدّم عوالم وشخصيّات تتجاوز حدود الزّمان والمكان لتستقرّ في وجدان القارئ. وفي هذا السّياق تبرز أعمال الرّوائيّ الكبير جُرجي زيدان بوصفها محطّةً بارزةً في تاريخ الرّواية العربيّة، لا سيّما رواياته التّاريخيّة الّتي مزجت بين سرد الأحداث وتشخيص التّاريخ، ومن بين هذه الرّوايات تأتي رواية (فتح الأندلس) لتبرز أهمّ التّحوّلات التّاريخيّة، ليس على مستوى الأحداث الكبرى فحسب، وإنّما في صياغة الشّخصيّات الحاملة لدلالات عميقة تتجاوز الوظيفة السّرديّة الظّاهرة.

ويقوم هذا البحث على دراسة الشّخصيّة الرّوائيّة وتحليل السّمات النّفسيّة و الاجتماعيّة فيها بوساطة الكشف عن البنية الدّلاليّة والرّمزيّة، وهذا ما تتيحه المقاربة السّيميّائيّة؛ إذ تسعى هذه المقاربة إلى تفكيك العلامات والإشارات داخل النّصّ لتبوح بما تخفيه الشّخصيّات من معانٍ ودلالات، وكيف تتشكّل هذه الدّلالات من خلال تفاعلها مع السّياقين السّرديّ والتّاريخيّ.

الكلمات المفتاحيّة: شخصيّة، سيمياء، فتح الأندلس، جرجي زيدان.

1مُدرّس، قسم اللُّغة العربيَّة، كليَّة الآداب والعلوم الإنسانيَّة، جامعة الفرات.
2طالبة ماجستير، قسم اللُّغة العربيَّة، كليَّة الآداب والعلوم الإنسانيَّة، جامعة الفرات.

المُقدّمة:

تتبوّأ رواية (فتح الأندلس) مكانة خاصّة؛ كونها تتناول مرحلة مفصليّة في التاريخ الإسلاميّ، فهي غنيّة بالأحداث والمتغيّرات التي شكّلت ملامح حضارة كاملةٍ، ولا تقتصر أهمّيّة الرواية التاريخيّة على سرد الأحداث فحسب، إنّما تتجاوز ذلك لتشمل البناء الفنيّ للشخصيّات،التي تُعدّ حاملة للدلالات والمعانيّ التي يرغب الكاتب في إيصالها، ومن هنا تأتي أهمّيّة المقاربة السيميائيّة بوصفها أداة تحليليّة قويّة تكشف الطبقات الدلاليّة الكامنة في هذه الشخصيّات، فالسيميائيّة بوصفها علمًا يدرس العلامات وأنظمة الدلالة تتيح لنا الغوص عميقًا في بنية النص الروائيّة، وتفكيك العلاقات المعقّدة بين الشخصيّات والأحداث والرموز وصولًا إلى فهم أعمق للرؤية التي يقدّمها الكاتب.

مشكلة البحث: تتمحور مشكلة البحث حول سؤالين سيسعى البحث للإجابة عنهما، وهما:1- ما هي الدلالات الخفيّة التي تكشفها المقاربة السيميائيّة التي لا تكون واضحة على السّطح السّرديّ حول دوافع الشّخصيّات وصراعاتها الداخليّة.

2-كيف تعكس الشّخصيآت في الرواية أفكار جرجي زيدان، أو مواقفه تجاه قضايا معيّنة مثل الدينين الإسلاميّ والمسيحيّ بتحليلها سيميائيًا.

أهميّة البحث:

تكمن أهمية البحث في إثراء الدّراسات النقديّة بتقديم إضافة نوعيّة للدراسات النقديّة حول أدب جرجي زيدان عامّة، ورواية (فتح الأندلس) خاصّة، عن طريق تبنّي مقاربة سيميائيّة جديدة، والمساهمة في فهم أعمق لكيفيّة بناء الشخصيّات في الرواية التاريخيّة، وكيف تتجاوز مجرّد كونها كيانات سرديّة لتصبح حاملة لدلالات رمزية.

أهداف البحث:

يسعى البحث إلى تحليل الرموز والإشارات التي تكتنفها الشخصيّات في رواية (فتح الأندلس) لفهم المعاني العميقة التي أراد جرجي زيدان إيصالها، إضافًة إلى تحديد الوظائف السّيميائيّة للشّخصيّات، وكيف تسهم هذه الوظائف في تطوّر السّرد.

منهج البحث:

اعتمد البحث على المنهج السّيميائيّ كونه ينظر إلى الشخصيّة الأدبيّة لا من كونها مجرّد كائن روائيّ، وإنّما بوصفها بنية من العلامات التي تحمل دلالات متعدّدة.

الدراسات السابقة :ومن الدراسات التي عنيت بجوانب من البحث نذكر منها:

(وقفة مع جرجي زيدان ، عبد الرحمن العشماوي/ الأندلس في الرواية العربيّة المعاصرة–دراسة تحليليّة، أحمد محمد أحمد زلط /سيميائيّة الشّخصيّة في رواية نازلة دار الأكابر، أميرة غنيم/ الشّخصيّة في أعمال أحمد رفيق عوض الروائية دراسة في ضوء المناهج النقدية، سعد عودة حسن عدوان). على أنّ المفارقة بين هذه الدراسات وهذا البحث يبدو في إبراز مدى نجاعة تطبيق المنهج السّيميائيّ على النص الرّوائيّ

من خلال استقراء العلامات والدلالات التي تكتنفها الشّخصيّات.

بين يديّ رواية(فتح الأندلس) :

تندرج رواية(فتح الأندلس) للكاتب جرجي زيدان[1] ضمن سلسلة روايات تاريخ الإسلام، كونها تسلّط الضوء على فترة تاريخيّة مفصليّة في تاريخ الأندلس؛ إذ تبدأ الرواية بتقديم صورة عن الأوضاع السياسيّة والاجتماعيّة في إسبانيا قبيل الفتح الإسلامي، مُظهرةً الصراعات الداخلية بين القوط، ولاسيما بعد سلب الملك (رودريك) الحكم من (ألفونس). أمّا المحور الرئيس للرواية فيدور حول قصة حب تجمع بين فلورندا وألفونس ابن الملك غطيشة؛ إذ تواجه هذه العلاقة تحدّيات كبيرة، أبرزها تدخل الملك رودريك الذي يسعى للاستحواذ على فلورندا، مما يؤدي إلى صراعات معقّدة بين الشّخصيّات الأمر الذي دفع بطل الرواية أن يلجأ إلى طارق بن زياد ليتحالف معه من أجل حماية فلورندا منهيًا بذلك عهد مملكة القوط.

الشّخصيّة السّرديّة:

تعدّ الشّخصيّة من أبرز العناصر السّرديّة الّتي لا يخلو أيّ عمل روائيّ منها، كونها المحرّك الرّئيس للأحداث، إذ لا يمكن فصلها عن المتن الرّوائيّ، فهي" تركيب جديد يقوم به القارئ أكثر ممّا هي تركيب يقوم به النص"[2]. وللشّخصيّة السّرديّة أنواع وهي:

الشّخصيّة الرئيسة: تكون هذه الشخصيّة محور الحدث فهي تقود الأحداث إلى نهايتها ومعها تتّضح خيوط العمل الرّوائيّ، إذ"يكون حديث الشخوص الأخرى حولها فلا تطغى أيّ شخصيّة عليها، وإنّما تهدف جميعاً لإبراز صفحاتها، ومن ثمّ تبرز الفكرة التي يريد الكاتب إظهارها"[3] غالبًا ما تكون هذه الشّخصيّات معقّدة لتكون قادرة على جذب انتباه القارئ.

الشّخصيّة الثانويّة: وهي التي"تضيء الجوانب الخفيّة أو المجهولة للشخصيّة الرئيسة أو تكون أمينة سرّها فتبيح لها بالأسرار التي يطّلع عليها القارئ"[4] ولا يمكن لأيّ عملٍ روائي أن يستغني عن وجودها .

الشّخصيّة المسطّحة: هي التي"لا تتطوّر ولا تتغيّر نتيجة الأحداث وإنّما تبقى ذات سلوك أو فكر واحد "[5]فهي تسير في نمطٍ معيّن دون أن يتوقّع منها المفاجآت.

الشّخصيّة النّامية: هي التي"تأخذ بالنمو والتطوّر والتغيّر إيجاباً سلباً حسب الأحداث معها""[6]. فهي تنمو وتتطوّر بحسب مجريات الأحداث في الرواية.

---

[1] جرجي زيدان:أديب وصُحفيّ وروائيّ ومؤرّخ لبنانيّ وُلد في14ديسمبر/كانونالأوّلمنسنة1861 أجاد العديد من اللّغات الأجنبيّة وكان له العديد من الأعمال الأدبيّة، وقد ذكره الزركلي في كتابه الأعلام "جرجي بن حبيب زيدان، منشئ مجلة الهلال بمصر وصاحب التصانيف الكثيرة، ولد وتعلّم في بيروت ورحل إلى مصر فأصدر مجلّة الهلال وتوفّي بالقاهرة سنة1914 " **حسن** محمد عبد الغني،١٩٩٠،**جرجي زيدان**، الهيئة المصريّة العامة للتأليف والنشر،ص٨. ينظر:**الزركلي** خيرالدين،٢٠٠٢،**الأعلام**،ط١٥،مجلّد٢،دارالعلم للملايين،بيروت،ص١١٧.

1لحمداني حميد، ١٩٩١،**بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي**، ط١، المركز الثقافي العربي، بيروت، ص٥٠.

2أبوشريفة عبد القادر و **قزق** حسين لافي، ٢٠٠٨، مدخل إلى تحليل النص الأدبي، ط٤، دار الفكر العربي،الأردن، ص١٣٥.

4**أبوشريفة**، المرجع نفسه، ص١٣٥

5المرجع نفسه، ص١٣٤

6المرجع **نفسه**، ص١٣٥

الشّخصيّة المرجعيّة: وقد تكون تاريخيّة، أو اجتماعيّة، أو أسطورية إذ "تحيل هذه الشخصيّات على معنى ممتلئ وثابت حدّدته ثقافة ما ،كما تحيل على أدوار وبرامج واستعمالات ثابتة"[1].فهي تُعدّ بمنزلة المرجع الأساسي لفهم الحبكة وتطور الشّخصيّات الأخرى.

الشّخصيّة الإشاريّة: وهذه الشخصيّة "دليل على حضور المؤلّف أو القارئ أو من ينوب عنهما في النص "[2]مثل شخصيّة الكاتب و الفنان ...

الشّخصيّة الاستذكاريّة: إنّ ما يحدّد هويّة الشخصيات الاستذكاريّة الشخصيّات "هو مرجعيّة النسق الخاص بالعمل وحده، فهذه الشخصيّات تقوم داخل الملفوظ بنسج شبكةٍ من التداعيات والتذكير بأجزاء ملفوظيّة ذات أحجام متفاوتة "[3]فهي شخصيّات تقوم بتأويل الأمارات ونشرها .

و للشخصيّة جوانب متعددة منها ما هو موجود بالفطرة ومنها ما هو مكتسب من البيئة المحيطة بالشّخصيّة، وهذه الجوانب هي ما تميّز الأفراد عن بعضهم، إضافة إلى السلوك المغاير لكل فرد، وهذا التعدّد هو ما دفع بالباحثين والعلماء إلى دراسة الشّخصيّة وفق أبعاد ثلاثة: البعد الجسميّ، والبعد النفسيّ، والبعد الاجتماعيّ.

البعد الجّسميّ:

وهو "ما يميّز الفرد من سواه، أو هو مجموعة الصفات الجسديّة والعقليّة والخلقيّة التي يتّصف بها الإنسان "[4] مثل الطول والقصر والبدانة**...**

البعد النفسيّ: ويشمل هذا البعد "مزاج الشخصيّة من انفعال وهدوء وانطواء وانبساط"[5] أي أنّه يتناول السلوك البشري.

البعد الاجتماعيّ: ويركّز هذا البعد على "انتماء الشخصيّة إلى طبقةٍ اجتماعيّة وفي نوع العمل الذي يقوم به في المجتمع وثقافته ونشاطه وكل ظروفه"[6] فهو يركّز على الجانب الاجتماعيّ للشّخصيّة.

ثنائيّة الدال والمدلول:

سأعتمد في هذه الدراسة على منهج فيليب هامون في سيميولوجيا الشّخصيّة السرديّة، الذي يُصنّف الشّخصيّة إلى الدال(الاسم بوصفها علامة لغويّة)، والمدلول(المعنى المُستمد من السياق السرديّ).

(1) دالّ الشّخصيّة:

عرّف (فيليب هامون) دالّ الشّخصيّة على أنّه "مجموعة متناثرة من الإشارات الّتي يمكن تسميتها سمة الشّخصيّة، وتتّحد الخصائص العامّة لهذه السّمة في جزء هامّ منها بالاختيارات الجماليّة للكاتب"[7]. فهي تلتصق بالشّخصيّة لتكون سمات واضحة لها، ويتضمّن دالّ الشّخصيّة الاسم واللّقب والكنية الّتي تصبح بمنزلة مرجع يحدّد المدلول من خلالها.

(2) مدلول الشّخصيّة:

1**هامون** فيليب،٢٠١٣، **سيمولوجيا الشخصيّات الروائيّة**، تر:سعيد بنكراد، ط١، دار الحوار للنشر،اللاذقيّة، ص٣٦

2**هامون** فيليب،المرجع نفسه،ص٣٦

3**المرجع نفسه**، ص٣٦

4**درويش** أحمد،١٩٩٤،**أحمد الشايب ناقداً**،ط1،الهيئة المصريّة العامّة للكتب،القاهرة،ص١٩٣

5**أبوشريفة** عبد القادر و **قزق** حسين لافي ،المرجع نفسه،ص١٣٣

6المرجع **نفسه**،ص١٣٣

7**هامون**فيليب، المرجع نفسه، ص٥٨.

يختلف تقديم الشّخصيّة من كاتب لآخر، فهو"لا يقدّمها على الفضاء الورقيّ الأبيض بصورتها الكلّيّة دفعة واحدة، بل يجعلها تتواتر بالتّدريج محمّلة بالصّفات والمعلومات والأفكار"[1]وهذا التّقديم يساعد على تكوين الشّخصيّة ويوضّح كيفيّة أدائها في الرّواية.

وقد اقترح (فيليب هامون) مقياسين أساسيّين يساعدان في تصنيف الشّخصيّة، وهما المقياس الكمّيّ والمقياس النّوعيّ.

أ: المقياس الكمّيّ: ومعناه "تواتر معلومة تتعلّق بشخصيّة معطاة بشكل صريح داخل النّصّ"[2] .سواء كانت حول الشّخصيّة الرئيسة أو الشّخصيّة الثانويّة.

ب: المقياس النّوعيّ: ومعناه "كيفيّة تقديم الشّخصيّة لنفسها، ومصدر تلك المعلومات هل تقدّمها الشخصيّة عن نفسها مباشرة أو بطريقة غير مباشرة"[3] فالمقياسان كلاهما مهم"فالمعلومات الكمّيّة وحدها لا تؤدّي إلى رؤية متكاملة للشّخصيّة من جميع جوانبها، وإنّما يخبرنا عن بعضها ويحجب بعضها الآخر، ولتجنّب هذا القصور ومجاوزته لابدّ من اختيار المقياس النّوعيّ"[4]، ومعنى ذلك أنّ كليهما يسهمان في دراسة الشّخصيّة، والإحاطة بجوانبها كلّها، فهما مكمّلان لبعضهما.

أنواع الشخصيّة وأبعادها في رواية فتح الأندلس وفق ثنائيّة الدال والمدلول:

1_دالّ الشخصيّة في رواية (فتح الأندلس):

إنّ اختيار اسم الشخصيّة من قبل الكاتب لا يكون عشوائيّاً ، فالاسم"هو الذي يعين الشّخصيّة، ويجعلها معروفة وفرديّة وقد يرد الاسم مصحوباً بلقب يميّزه عن الآخرين الذين يشتركون معه في الاسم نفسه، كما يزيد في تحديد التراتب الاجتماعيّ للشخصيّة"[5] فهو علامة تحتاج إلى تحليل.

أ) شخصيّة فلورندا: اسم علم أعجمي يحمل دلالات إيجابيّة متّصلة بمسار الشّخصيّة في الرواية. فهو" اسم لاتينيّ، مُشتق من إيطاليا وإسبانيا والبرتغال. وهو مُشتق من كلمتي فلوريس وفلورا (زهرة مُتفتّحة) بمعنى زهرة"[6]، وهو اختيار مدروس من الكاتب ليكون هذا الاسم رمزًا للأندلس ذات الطبيعة الجميلة، إذ تمتاز فلورندا في الرواية بصفات الجمال، والعفة، والنّقاء والتّمسّك بالدّين، رغم المغريات كلّها والضغوط التي تعرّضت لها، مما يجعلها علامة دالة على صورة الأندلس المثاليّة في ذهن الكاتب، فهي تمثل قيمة روحيّة وحضاريّة أصيلة، إلى جانب ذلك فإنّه يتضح لنا من تتبّع مسار شخصيّة فلورندا في الرواية أنّها كانت في حالة ترحال دائم، هربًا من بطش الملك رودريك، وبحثها عن محبوبها ألفونس الذي يمثّل الأمل والخلاص، وهذا الترحال يعكس حالة الأندلس نفسها وما فيها من اضطراب سياسيّ واجتماعيّ، وانطلاقاً من هنا يمكن القول إنّ اختيار اسم فلورندا لم يكن اعتباطيًّا، إنّما جاء ليعبّر سيميائيّا عن الأندلس؛ فالاسم، والصّفات، والحركة الدراميّة لشخصيّتها كلّها دلالات متشابكة، تحمل مدلولات رمزيّة على نقاء الأندلس وعذريّتها، وعلى الصراع الذي مرّت به قبيل الفتح الإسلاميّ.

1**مرشد** أحمد ،٢٠٠٥، **البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصرالله**، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت، ص٤٤.

2**لبحراوي** حسن،١٩٩٠، **بنية الشكل الروائي**،ط١، المركز الثقافي العربي، بيروت،ص٢٢٤.

3**المرجع نفسه**، ص٢٢٤.

1 لبحراوي حسن، **بنية الشكل الروائي** ، ص٢٣٢.

5 المرجع نفسه،ص٢٤٨.

org. wikipedia. www.16/1/2025. 5, 00pM 6

ب) شخصيّة (ألفونس): اسم علم أعجمي أصله في اللّغة الجرمانيّة شجاع و نبيل وهو مشتق من اسم قوطيّ أو مزيج من أسماء قوطيّة عدّة[1] ، ومن يمعن في هذا الاسم يجده يموج بحمولات اجتماعيّة ودلاليّة مرتبطة بالشّخصيّة ووظيفتها في الرّواية.

فشخصيّة البطل (ألفونس) مرّت بمراحل صراع عدّة، فهو ابن الملك الراحل غطيشة الذي قد سُلب المُلك منه على يد (رودريك) وقد بدا ضعيفاً ومستكينًا في بداية أحداث الرواية وفاقدًا للأمل، لكنّه سرعان ماعاد ليقود مجريات الأحداث بتحريض من محبوبته (فلورندا) الّتي دفعته للثّأر والمطالبة بالحكم، ممّا أدّى إلى تصاعد الأحداث، واسم (ألفونس) يتكوّن من ستّة أصوات جمعت بين اللّين والشّدّة، أظهرت الضّعف والانكسار في بداية الرواية والحزم والقوّة في نهايتها، وهي صفات طُبعت بها الشّخصيّة كونها مرّت بأطوارٍ عدّة في كلّ زمنٍ سرديّ من الرّواية، منها مسار عاطفيّ، وآخر اجتماعيّ، وآخر أسريّ.

ج) شخصيّة (رودريك): اسم علم أعجميّ"(رودريكو) الصّيغة الإيطاليّة والهنغاريّة للاسم (رودريك) المأخوذ من الألمانيّة القديمة بمعنى الحاكم "[2] وهو اسم ارتبط بالقوّة والانتصار فهي صفات الحاكم القوي والناجح، وقد تضمّن الاسم حروف الشّدّة للدّلالة على الحزم والقوّة، وهي تتناسب طردًا مع صفات الشّخصيّة؛ إذ وصل (رودريك) إلى سدّة الحكم عن طريق الدّهاء والقوّة وتسلّطه على مجلس الكهنوت الكنسيّ، ويلاحظ القارئ سطوة هذه الشّخصيّة وجبروتها في مجريات الرّواية، فهي شخصيّة لا تبدي الخوف أو التّواني عن تحقيق مطامعها. وقد ارتبطت هذه الشّخصيّة مع الشّخصيّات الدّيناميكيّة الأخرى، وقادت الأحداث معها.

د) شخصيّة الميتروبوليت (أوباس): اسم علم أعجميّ وضع إلى جانبه الكاتب وضع إلى جانبه الكاتب اسماً من خياله "وكان اسمه أوباس ﴿عباس﴾"[i] ومعنى اسم عبّاس "أسد ،كثير العبوس"[3]والأسد يمتاز بالقوّة والسيطرة وهو من يقود الجماعة، فأوباس أحد رجال الكهنوت والمجلس الدّينيّ، وقد كان متمسّكًا بتعاليم الدّين المسيحيّ، وأحد رجاله الأشراف، وعلى الرّغم من الظّلم الكبير الّذي تعرّض له على يد الملك (رودريك) وقف إلى جانبه وحاول الدّفاع عن المُلك والدّين، فاسم (أوباس) يموج بحمولات دلاليّة ارتبطت بوظيفة الشّخصيّة وبكيفيّة تقديمها، فهو ذو شخصيّة مرجعيّة دينيّة خدمت وجود الشّخصيّة في الرّواية، بوساطة تطوّر الأحداث ونموّها فهو المفتاح الذي استطاع ألفونس من خلاله أن يتزوّج فلورندا وذلك بتسهيل اتّفاقه مع اليهود والعرب.

هـ) شخصيّة طارق بن زياد: ملفوظ مركّب من اسم علم ونسبة، جاء على صيغة اسم الفاعل، ومعناه "آتٍ ليلاً، قارع، حادث"[4]هذه المعاني تتجاوز الدلالة اللغويّة لتتجسّد في رمزيّة عميقة؛ فالطارق هو الذي يأتي في جنح الظلام ليبدد عتمته، جالبًا معه النور والطمأنينة، كما ورد ذكره في القرآن الكريم ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝ وَمَآ أَدرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝ النَجْمُ ٱلثَّاقِبُ﴾[5] فالاسم يوحي بقدوم حدثٍ جلل يضيء الظلمات ويحدث أمراً عظيماً، أمّا اسم زياد معناه "نماء، زيادة"[6] وهو دالّ تطابق مع مدلوله، إذ حمل الاسم دلالات إيجابيّة تطابقت

---

org. wikipedia. www.16/1/2025. 5, 00pM 3

2بن الزبير محمد ،١٩٩١،**موسوعة السلطان قابوس سجل أسماء العرب**،ط١،مجلد،٣،مكتبة لبنان،بيروت،ص١٦٧١.

3**الحتّي** حنا نصر ،٢٠٠٣،**قاموس الأسماء العربيّة والمعرّبة وتفسير معانيها**،ط٣،دار الكتب العلميّة،بيروت، ص٥١.

4**الحتّي** حنّا نصر،المرجع نفسه،ص ٤٩.

2سورةالطارق، الآية ١،٢،٣.

6**الحتّي** حنا نصر،المرجع نفسه،ص٤٢.

مع وظيفة الشّخصيّة، فطارق بن زياد جاء ومعه فجر جديد يزيل به ظلمة العصور القديمة،إذ جاء بالفتح الإسلاميّ ليعيد الحياة إلى إسبانيا.

مدلول الشخصيّة في رواية (فتح الأندلس):

قدّم جرجي زيدان معلومات صريحة حول الشّخصيّات الرّئيسة والثانويّة ووزّعها على طول صفحات روايته.

أ) شخصيّة (فلورندا): شخصيّة رئيسة أدّت دورًا فاعلًا في الرواية، وسيطرت على مساحةٍ واسعةٍ منها، وهي من الشخصيّات الإشاريّة التي برز فيها الكاتب في بعض المواقف متخفّيا خلف بطلته فلورندا لإبراز مدى إخلاصه لنصرانيّته ومدى قوّة إيمانه التي بدت من تصرّفات فلورندا في كثيرٍ من المواقف؛ إذ قدّم الكاتب العديد من المعلومات المهمّة حول هذه الشّخصيّة انطلاقًا من شكلها الخارجيّ ومظهرها، وصولًا إلى صفاتها الدّاخليّة، فحاول أن يعطي صورةً واضحةً وشاملةً عن بطلة الرّواية، على أنّ هذه المعلومات لم تقدّم دفعة واحدةً، وإنّما كانت تتكشّف لنا من تطوّر الأحداث وفق مبدأ التّدرّج، وقد ركّز الكاتب على هذه الشّخصيّة وحاول أن يجعلها أكثر وضوحًا مستعينًا بتقنيّات الاسترجاع والتّلخيص، بغيةَ تزويد القارئ بمعلومات كافية عنها، وقد نجح الكاتب في مبتغاه؛ إذ قدّم للقارئ صورة متكاملة عن بطلة الرّواية وفق طريقتين مختلفتين:

1-التقديم المباشر: عبّرت به الشّخصيّة عن نفسها باستخدام ضمير المتكلّم، عبر الاعترافات الظّاهريّة والخفيّة، ونجد ذلك قد بدا واضحًا في حوارها مع محبوبها (ألفونس) "ما الّذي جاء بك يا (ألفونس)؟..قال لا أدري ما الذي جاء بي ياحبيبتي.. فهل تعلمين أنت"[1]

فالمبادرة والجرأة من خلال تقديمها لسؤال استنكاري هو دليل على عدم التردد في التعبير عن مشاعرها فهي شخصيّة غير تقليديّة لا تخضع للأعراف والتقاليد.

وفي مثال آخر تقول: "لمّا أحببتك يا منيتي إنّما أحببت (ألفونس) ولم أحبّ ولي عهد القوط، إنّ الحبّ لا ينظر إلى الرّتب والمناصب ... القلب يا (ألفونس) لا يرى علامات الشّرف ولا يهوى التّيجان ولا يخاف الصّولجان القلب يا حبيبي لا يهوى إلّا القلب"[2] ففي قولها(لمّا أحببتك) علامة واضحة وتعبيرًا صريحًا عن حبها له، وهذا التصريح يكشف عن عمق مشاعرها، وقوّة عاطفتها اتجاهه، فهي شخصيّة شغوفة وصادقة في حبّها، ويبدو ذلك واضحاً حينما تابعت حديثها في قولها (إنما أحببت ألفونس وليس ولي العهد) وهنا يبدو التمييز واضحاً بين الشّخصيّة والهويّة الرسميّة، ففلورندا تؤكّد على أنّ حبّها موجه لشخص ألفونس وليس لمكانته، كونها تقدّر الجوهر الإنسانيّ والعاطفيّ للعلاقة أكثر من الاعتبارات السياسيّة الرسميّة، وهذان المثالان يبرزان مدى حب فلورندا وصدق مشاعرها وتمتّعها بالاستقلاليّة الفكريّة والعاطفيّة وتمردها على الأعراف الاجتماعيّة في تلك الفترة.

2-التّقديم غير المباشر: اعتمد فيه الكاتب على الوصف الخارجيّ والدّاخليّ للشّخصيّة تدريجياً معتمداً على دراسة الأبعاد المختلفة للشّخصيّة وهي:

- **البعد الجسميّ:** ركّز فيه الكاتب على ملامح الشّخصيّة لتبدو للقارئ كأنّها أمامه، يقول في وصفها: "وكان ذلك الشّعر الذّهبيّ يتلألأ من خلال تلك الشّبكة...على أنّ تسربلها بذلك الرّداء لم يخف جمال قامتها ورشاقة

1**زيدان**جرجي، المصدر نفسه،ص٢٤.
2**المصدرنفسه**، ص٢٥.

مشيتها"[1]وهو مثال غنيّ بالدلالات السيميائيّة، ففلورندا تتمتّع بجمال طبيعيّ لافت يتمثّل بشعرها الذهبيّ واللون الذهبيّ علامة على الثراء والجمال والجاذبيّة، أما وجود الشبكة فله دلالات اجتماعيّة وثقافيّة مرتبطة بالاحتشام، فهي ترغب في ستر جمالها وإخفائه، ولربّما نجد فيه رمزًا للقيود الاجتماعية والدينيّة التي تحيط بها، وهذا التناقض بين الدال والمدلول يعكس الصراع الداخليّ في شخصيّة فلورندا، ويبرز التوتّر بين الجمال والحشمة، وبين الحريّة والضغوط المجتمعيّة، وهو ما يخدم البناء الرمزيّ للرواية ويرمز لصراع الأندلس التاريخيّ.

-**البعد النّفسيّ:** اعتمد الكاتب جُرجي زيدان على الوصف الدّاخليّ للشّخصيّة لتخدم الحدث، الأمر الّذي أدّى إلى انعكاسه على الشّخصيّات جميعها في الرّواية، فشخصيّة (فلورندا) عانت من الضّياع، والخوف من فقدان حبيبها (ألفونس)، ووقوعها في قبضة الملك رودريك، وذلك يبدو واضحًا في هذا المثال.

"فوثبت (فلورندا) من فراشها، وقد تحقّقت وقوع الخطر الّذي كانت تخشاه، ولكنّها اعتمدت على الله وثبتت جأشها ودنت من الأيقونة فقبّلتها وصلّت الله أن يشجّعها وينقذها من مخالب الشّرير"[2]

ففي هذا المثال نجد أنّ الفعل(وثبت) فعل يدلّ على سرعة بديهة فلورندا ويقظتها عند إدراك الخطر، كونها كانت تتوقع الخطر وتخشى منه، فهي تمتلك وعيًا بالتهديد المحيط بها، وفي اعتمادها على الله دلالة واضحة على عمق إيمانها، وتديّنها لحظة وقوع الخطر، ولجوئها إلى قوّة إيمانيّة عليا للحماية والعون، وهنا يبدو الجانب القويّ من شخصيّة فلورندا متمثّلًا بالإيمان العميق والقدرة على الثبات الداخليّ في مواجهة الخطر، فعلى الرغم من خوفها الشديد فهي لا تستسلم للهلع بل تلجأ إلى الله لتستمد منه القوّة، وفي تقبلها الأيقونة والصلاة فعلٌ يعكس قوّة معتقداتها الدينيّة ودورها في منحها الشجاعة و الأمل.

- **البعد الاجتماعيّ:** ونلاحظ أنّ هذه الشّخصيّة قد عاشت تغيّرات جذريّة في حياتها ، كونها قد نشأت في البلاط الملكيّ فهي ابنة الكونت يوليان وهذا ما يوضّحه المثال الآتي"إلا فتاة من أهل البلاط الملكي اغتنمت فرصة انشغال الملك ورعيّته بذلك العيد لتخلو إلى نفسها وتفكّر في أمرها وكانت من جملة بنات الكونتات حكّام الولاية "[3]فهذا المثال يوضّح المكانة الاجتماعيّة للشخصيّة فانتماؤها للبلاط الملكيّ يعني أنها تتمتّع بمكانة مرموقةٍ ونفوذٍ محتمل وحياةٍ مختلفة عن عامّة الشعب، فهي في أعلى الهرم الاجتماعيّ في المملكة، أمّا رغبتها في اغتنام فرصة انشغال الملك فهي علامة واضحة على خوف فلورندا من رودريك، ورغبتها بالانفصال عنه، وعن صخب الحياة الاجتماعيّة في البلاط، أمّا رغبتها بالانفراد بنفسها علامةٌ واضحة على شعورها بالاغتراب، والحاجة إلى التأمّل بعيداً عن أعين الجميع، ففلورندا تبدو لنا في هذا المثال جزءٍ من نسيج اجتماعيّ معقّد يؤثّر في سلوكها وخياراتها، أمّا مكانتها الاجتماعيّة فهي سيفٌ ذو حدّين يمنحها امتيازات من جهة، وقيودًا من جهة أخرى وعلاقاتها داخل البلاط تؤدّي دورًا مهمّاً في حياتها.

فهذه الشّخصيّة عاشت مراحل من الصراع الداخليّ والخارجيّ ، وعليه فإنّ الكاتب استطاع أن يقدّم هذه الشّخصيّة بصورة واضحةٍ.

1**زيدان** جرجي، المصدرنفسه، ص16.

2 المصدرنفسه، ص٤٠.

3**زيدان** جرجي، المصدرنفسه، ص١٦.

ب) شخصيّة (ألفونس):وهي شخصيّة رئيسة؛ إذ تعدّ محور الحدث الروائيّ، فهي بنية رمزيّة تمثّل حالة الانقسام النفسيّ، والاجتماعيّ، والسياسيّ الذي عصف بالطّبقة الأرستقراطيّة القوطيّة في لحظة تاريخيّة حرجة، فهي شخصيّة إشاريّة تتقاطع فيها معاني الفقد والتمرد، والإخلاص، والتناقض، ويبدو واضحًا أنّ جرجي زيدان استخدمها بوصفها قناعاً للتعبير عن تصوّره للزمن القوطيّ المتأخر، من منظور يزاوج بين العاطفة والسياسة،على أنّ المساحة التي شغلتها هذه الشخصيّة أقل من مساحة شخصيّة فلورندا ، وقد اعتمد الكاتب في تقديمها على الوصف الخارجيّ المادّيّ والوصف النّفسيّ، إضافة إلى الاسترجاع الخارجيّ، وقد أورد الكاتب معلومات هائلة عن هذه الشّخصيّة، كونها شخصيّة البطل الذي يقود مجريات الأحداث في الرّواية، وقد عانت هذه الشخصيّة من كثرة التّناقضات بين الواجب، والحبّ، والتّضحية، والدّفاع، الضياع، والرّغبة في الانتقام من الملك (رودريك). ونقيض المشاعر كان المحور الأساسيّ الّذي ساعد على بناء شخصيّة (ألفونس) وتفسير أفعالها والتّقلّبات الّتي أصابتها، وقد أحاط بهذه الشّخصيّة جوٌّ من الغموض تقصّد فيه الكاتب أن يظهرها بهذا الشّكل، وقد قدّم لنا الكاتب هذه الشّخصيّة بطريقتين:

1–التّقديم المباشر: باستخدام ضمير المتكلّم، كما وجدنا في حواره مع محبوبته (فلورندا).

2–التّقديم غير المباشر: استخدمه الكاتب بوساطة ضمير الغائب لتحديد وصف الشّخصيّة على مبدأ التّدرّج داخليًّا وخارجيًّا.

–**البعد الجسميّ**: ذكر فيه الكاتب صفات عدّة امتازت بها هذه الشخصيّة، فكان الوصف فيها دقيقًا بغية شدّ انتباه المتلقّي وهذا ما نلحظه في المثال الآتي "على رأسه قبعة صغيرة لها جناحان من ريش الطير، ومن تحت القبّعة شعره الأسود يسترسل على كتفيه، وكان (ألفونس) في العشرين من عمره ولم يستطل شعر عارضيه وشاربه بعد وكان أبيض الوجه أسود العينين"[1]فالدلالات السيميائيّة التي تشير إلى مدلول معيّن، فالقبّعة ذات الريش رمز لزيّ معيّن خاص بطبقة معيّنة مثل الفرسان والنبلاء وهذا يدلّ على مكانة اجتماعيّة رفيعة وميولٍ عسكريّة أمّا سواد الشعر وطوله فهو دلالة على قوّة الشباب وحيويّته إضافةً إلى أنّ طول الشعر يرتبط بالرومنسيّة ولاسيما بين طبقة الملوك، أمّا في وصفه بالعشرين من عمره فهنا دلالة على أنّه في مقتبل العمر، وهذا غالبًا ما يرتبط بقلّة خبرته في الحياة، وفي قيادة الأمور،و الاندفاع في اتّخاذ القرارات، كما حدث معه حينما دخل بحرب من أجل فلورندا أنهى بها عهد القوط، أمّا في(وصفه لم يستطل شعر عارضيه) فهنا دلالة على صغر سنه وهي تعزز فكرة الشباب المبكّر جدّا وقد تشير إلى عدم اكتمال النضج الفكريّ والسياسيّ، وضعف السلطة، والخبرة مقارنة بالشخصيات الأكثر نضوجاً منه مثل شخصيّة عمّه أوباس، أمّا استخدام اللونين الأبيض والأسود فهو تناقض واضح يستخدم لإبراز الجمال الجذّاب والقويّ فالبياض دليل على النقاء، والصفاء أمّا السواد فدليل على عمق الشّخصيّة مع شيءٍ من الغموض يلفّها.

– **البعد النّفسيّ**: عاشت الشّخصيّة في حالة من تخبّط المشاعر بما فيها من خوفٍ وقلقٍ واستسلامٍ لإرادة الملك (رودريك)، حينما انتزع المُلك منه، ولكنّ هذه الشّخصيّة سرعان ما مرّت بتغيّرات وتبدّلات عدّة، دفعت بها إلى المطالبة بالمُلك، وقد شدّد الكاتب على مدى التزام ألفونس بحبه لفلورندا؛ إذ جعله السّبب الأساسيّ في التّحوّل الّذي طرأ على شخصيّة ألفونس، ووقوفه في وجه الملك، والمطالبة بحقّه في السّلطة، فهذه الشّخصيّة

1**زيدان** جرجي، المصدر نفسه، ص٢٠.

قد عاشت تحوّلات جذريّة في مسلك الرّواية، أدّت به إلى أن يظفر بمحبوبته، ومُلكه في نهايتها، على أنّ البعد النفسي في شخصية ألفونس قام على التمزّق الداخليّ الدائم بين العاطفة والسلطة، فتحوّل حبه لفلورندا إلى قوة دافعة للتحول الرمزي من الأمير المخلوع إلى الفارس الثائر، والمثال الآتي يوضّح مدى حاجة ألفونس إلى محبوبته ودعائها؛ إذ يقول كما جاء في الرواية "ادعي لي فإنّك من الملائكة ودعاؤك لي مستجاب، واذكريني في صلاتك عساي أن أوفّق لمرضاتك"[1] فوصفها بالملائكة تعبير مجازي يدلّ على تقديره العالي لها، فهو يراها إنسانة طاهرة وذات مكانة روحيّة عالية أمّا في قوله (دعاؤك لي مستجاب) فهو دلالة على ثقته في مكانتها، فهي شخص مبارك، ومفضّل عند الله، ودعاؤها له أثر خاصٌ، وكذلك في قوله اذكريني في صلاتك دلالة على حاجته للدعم الروحيّ والتوفيق الإلهيّ فهو يستعشر أن هنالك صعوبات ستحتاج إلى تدخّلٍ إلهيّ.

-**البعد الاجتماعيّ:** نشأ (ألفونس) في البلاط الملكي فهو ابن الملك الراحل غطيشة، وفقدان الملك هو ما جعله ضعيفًا يخشى فقدان محبوبته وهذا ما نجده واضحًا في هذا المثال "لست أرى مبرراً للشك فيّ وأنت تعلمين أنني أسير هواك أمّا أنا فيحق لي أن أرتاب في بقائك على عهدك لما أصابني من نوائب الزمان"[2] ففي هذا المثال نجد علامات غنيّة فقوله (لست أرى مبرراً للشّك) محاولة من ألفونس لطمأنة فلورندا، وإظهار ولائه لها، وعلى الرغم من وجود هكذا تصريح فهو يوحي بوجود شك دفين في قلب ألفونس في حب فلورندا له كونه خسر الملك، أمّا في قوله (أسير هواك) ففيه دلالة على ضعف ألفونس أمامها، وأمام حبها، وهنا يبرز مدى تأثيرها العميق عليه، وعلى تصرفاته حينما خاض الحرب ضدّ الملك رودريك، وهذه علامة على الانقياد تتنافى مع صفة القائد، أمّا في قوله(أمّا أنا فيحق لي أن أرتاب) فهو دلالة واضحة على تجاربٍ صعبة قد مرّ بها، وماضٍ مؤلمٍ مليءٍ بالتحدّيات تركت لديه أثرًا نفسيًّا، إضافةً للتذكير بماضيه المجيد، وفقدانه لمكانته مما جعله أكثر عرضةً للشك في ولاء الآخرين بمن فيهم فلورندا؛ إذ خشي أن يكون حبّه لها غير متبادلٍ بذات القوّة، أو أنّ دوافعها قد تغيّرت بعد فقدانه الملك.

بناءً على ما سبق، تتشكّل شخصية "ألفونس" في رواية فتح الأندلس بوصفها شخصية سيميائيّة متعدّدة الأبعاد، يتحوّل فيها البطل التقليدي إلى كيان رمزي يختزل صراع النخبة مع التّحوّل السيميائيّ والانهيار القيميّ ، فبين صورته الجسديّة اللامعة، وداخله الممزق بين الحبّ والسلطة، يصبح ألفونس مرآة لواقع مضطرب، لا خلاص إلّا عن طريق الخسارة للملك والحكم والمحبوبة، والصراع مع الملك رودريك من أجلهم ، ثم الاسترداد للحكم والمحبوبة، وبذلك يتجاوز ألفونس وظيفته السردية ليصبح علامة على أزمة الهويّة والقيادة في مرحلة تاريخيّة مفصليّة.

ج) شخصيّة (رودريك):

شخصيّة ثانويّة فاعلة في الرّواية "تتطور من موقفٍ لآخر، ويظهر لها في كل موقفٍ تصرّفٌ جديدٌ"[3]وهي ذات مرجعيّة تاريخيّة، فهو ملك القوط الذي خاض حربًا ضدّ طارق بن زياد خسر فيها حياته، وقد استطاعت أن تتطوّر بكل حدثٍ من أحداث الرواية ودفعت بالأحداث بسرعةٍ، وقادتها حتّى النهاية.

1**زيدان** جرجي،المصدر نفسه، ص٢٩.

2 المصدر نفسه،ص٢٥.

3**جرجي** زيدان، المصدر نفسه، ص٤٠.

ركَّز الكاتب على عرض معلومات وفيرة حولها، بما يخدم وظيفة الشّخصيّة داخل السّرد، فكان الوصف للمظهر الخارجيّ للشّخصية بلباسها وملامحها وقد قدّمها الكاتب تقديمًا مباشراً، وآخر غير مباشر.

أمّا المباشر فكان انطلاقًا من استخدام ضمير المتكلّم، إذ كثر تقديمها مباشرةً بوساطة الحوار مع الشّخصيّات الرّئيسة مثل شخصيّة (فلورندا) و(ألفونس)، أو شخصيّات ثانويّة مثل الأب (مرتين)، وهنا نستعرض جزءًا من الحوار الّذي دار بين (رودريك)و(فلورندا) حينما حاول أن يختلي بها لنفسه: "اجلسي يا (فلورندا) فإنّي لم أدعك إليّ لأحمّلك مشاقّ التّجمّل، ولكنّني أردت أن ألقاك في راحة وسعادة، اجلسي..."[1] استخدم الكاتب الحوارات القصيرة بين الشّخصيّات، رغبةً منه في شدّ انتباه القارئ للحدث، ومن خلال التحليل السيميائيّ لهذا المثال يظهر رودريك ملكاً يتمتّع بالسلطة الواضحة، ويتوقّع الطاعة من فلورندا محاولا أن يظهر بعض الاهتمام براحة فلورندا، ولكنّ الغاية الخفيّة هي رغبته في امتلاكها والظفر بها إمّا باللين و إمّا بالشدّة وهذا مثال ذو ديناميكيّة واضحة في علاقته مع فلورندا.

وأمّا التّقديم غير المباشر، فقد عدّ فيه الكاتب نفسه من يتحكّم بالأحداث، بطريقة السّرد، وكيفيّة تقديم الشّخصيّة، فقدّم لنا هذه الشّخصيّة من العامّ إلى الخاصّ،أي من الوصف الخارجيّ إلى الوصف الدّاخليّ.

– **البعد الجسميّ:** قدّم فيه الكاتب ذكرًا لبعض الصّفات الّتي تمتّعت بها هذه الشّخصيّة، يقول في وصف رودريك: "كان (رودريك) في نحو الأربعين من عمره، ممتلئ الجسم بارز الصّدر والبطن، قويّ البدن تلوح على وجهه أمارات البسالة..."[2] فالعمر والبنية الجسديّة في قوله في الأربعين تشير إلى مرحلةٍ من النضج، والقوّة الجسديّة المصاحبة للتقدّم في العمر، أمّا في وصفه (ممتلئ الجسم بارز البطن)، فهي للدلالة على شخصيّة ذات بنية قويّة فبروز الصدر يوحي بالقوّة، أما بروز البطن فتشير إلى قلّة الحركة، و الإفراط في الأكل والشرب، وهي عادةٌ مرتبطةٌ بطبقة الملوك في تلك الحقبة، على أنّ الغاية من هذا الوصف هو إبراز مدى استهتار الملك رودريك بالسلطة والحكم، وانشغاله بالنساء والملذّات التي أسهمت في فقدانه للملك.

– **البعد النّفسيّ:** ركّز الكاتب فيه على حياة الملك (رودريك) المليئة بالكره والغيرة والحقد على (ألفونس)، لسببين: أوّلهما كونه ابن الملك الراحل (غطيشة)، وثانيهما منافسته له على حبّ (فلورندا)، وما أذكى نار الحقد في نفس (رودريك) هو حبّ (فلورندا) لـ(ألفونس). وهذا ما دفع بالشّخصيّة للدخول في حالةٍ من التّصعيد النّفسيّ أدّت به إلى الخوض في حرب ضدّ (ألفونس)، وهذه الشّخصيّة تنتقل من مبدأ التّدرّج إلى مبدأ التّحوّل، فهي شخصيّة معقّدة سطت على المُلك وحاولت أن تظفر بـ(فلورندا)، وبسبب فشلها في مسعاها، وغرورها خاضت حربًا لاقت حتفها في نهايته، وهذا ما سنلمسه في حوارٍ دار بين رودريك و فلورندا إذ يقول:"وماذا يمنع أن تكوني حبيبتي أيضاً بل تكوني مولاتي ومالكة زمامي وزمام مملكتي"[3] فالسؤال هنا يكشف الرغبة العاطفية، والاعتراف بها ، فرغبته في فلورندا، وطرحه للسؤال بطريقة مباشرة يدل على قوّة الرغبة وتجاوزه لاعتبارات البروتوكول الملكيّ والمكانة الاجتماعيّة أمّا في قوله (بل تكوني مولاتي ومالكة زمام مملكتي) فهو تعبير قويّ عن الاستسلام العاطفيّ واستعداداً للتأثير من قبلها حتّى في شؤون الحكم وفيه إيضاح لقوّة مشاعره

1زيدان جرجي،المصدرنفسه،ص٣٣

3**زيدان** جرجي،المصدرنفسه، ص٤٢.

اتجاهها التي تجاوزت السلطة و العرش فـ(رودريك) ليس مجرّد حاكم وإنّما رجل تحرّكه غرائزه وشهواته ومشاعره.

– **البعد الاجتماعيّ:** ذكر الكاتب أنّ (رودريك) من القادة المقرّبين من الحكم على زمن (غطيشة)، وقد استلم الحكم من بعده، و ذكر أيضًا البيئة الدّينيّة النّصرانيّة الّتي ترعرع بها ومدى ثقته بالأب (مرتين)، الّذي كان يعتمد عليه في أمور السُّلطة "جلس (رودريك) على عرشه وفوق العرش صورة كبيرة تمثّل السيّد المسيح مصلوبًا، وعلى جدار القاعة صورٌ عديدةٌ دينيّة، وجلس بجانبه الأب (مرتين)..."[1] فصورة السيّد المسيح تحمل دلالةً واضحةً على التضحية، والمعاناة، والخلاص، ووجودها فوق العرش يهدف إلى تذكير الملك بمسؤولياته التي يجب أن يلتزم بها، أمّا جلوس الأب مرتين إلى جانبه فهو دليل على دور الكنيسة والنفوذ الدينيّ في تلك الحقبة، وبذلك يكون قد اكتمل بناء هذه الشّخصيّة بوساطة الأطوار الّتي مرّت بها.

د) شخصيّة (الميتروبوليت أوباس):

شخصيّة ثانويّة متطوّرة ذات مرجعيّة دينيّة كونه أحد أعضاء الكهنوت الكنسيّ ومطران فيها، وقد أورد الكاتب معلومات عدّة عنه، ركّز فيها على الصّفات النّفسيّة أكثر من الخارجيّة؛ إذ حاول أن يركّز على وظيفة الشّخصيّة في الرّواية، وعلاقتها مع الشّخصيّات الأخرى، وعدّت هذه الشخصيّة المفتاح لقصّة حبّ بطلي الرّواية وطوق نجاتهما،وقد قدّمها جرجي زيدان طريقتين.

1–الأولى: استخدم فيها ضمير المتكلّم في حوارها مع شخصيّات الرّواية الأخرى، منها حوارها مع (ألفونس) حينما تأخّر عن موكب الملك إذ يقول على لسان الشّخصيّة "ما كان أغناك عن هذا التّأخير إذن لم تكن لتسمع تعنيفاً ولا تتحمل لوماً حتى يقضي الله أمراً كان مفعولا وما الّذي أخّرك عن الاحتفال"[2]

2–الثّانية: اعتمد فيها على الوصف الخارجيّ والوصف الدّاخليّ من خلال السّرد التّدريجيّ.

– **البعد الجسميّ:** ركّز فيه الكاتب على صفاته وملامحه يقول في وصفه: "وكان (أوباس) حيويّ المزاج طويل القامة طويل الأطراف عريض المنكبين عريض الجبهة بارز الوجنتين والفكّين واسع الصّدر أسمر اللّون أسود الشّعر غزيره وخاصّة شعر لحيته، فقد كان مرسلًا على صدره إلى أسفل منطقته"[3] فحيوية المزاج دليل على الطاقة والنشاط، أمّا الطول فهو رمز للهيبة والحضور، فقامته بمنزلة مهابة جسديّة له توحي بشخصيّة ذات نفوذ وسلطة، والبنية العريضة دليل على القوّة والصلابة، وقد تدلّ على ارتباطها بالذّكاء والحكمة، أمّا لون الشعر وطوله فهو دليل على الهيبة والوقار لدى رجال الدين في العديد من الثقافات، فهي شخصيّة رمزيّة دينيّة ترمز إلى التقوى والحكمة والاحترام للتقاليد الدّينيّة.

وقد جاء هذا الوصف جامعًا لأدقّ تفاصيل الشّخصيّة، راسمًا ملامحه فاتحًا الباب للقارئ لتخيّل شكله ليبدو وكأنّه حاضر أمامه.

– **البعد النّفسيّ:** شخصيّة امتازت بسداد القول، وصواب الرّأي، والفطنة، و الذكاء، وقد عُدّ نقطة التّحوّل في حياة (فلورندا) و(ألفونس)، عاشت شخصيّة أوباس تحوّلات مصيريّة وجذريّة، فقد تحوّل من رجل دين يتمتّع

1 المصدر نفسه،ص٥٣٣.
1 **زيدان** جررجي،المصدرنفسه، ص٢٥.
3 المصدر نفسه،ص٥١.

بسلطة الكهنوت إلى متمرّد ناهض الملك (رودريك)، وساعد (فلورندا) على الهرب من بين يديه، وهذا ما أدّى به للوقوع في السّجن وعدّه خائنًا للسّلطة الملكيّة، ولكنّ الحدث الأبرز والأهمّ في الرّواية هو نقطة التّحوّل في شخصيّة (أوباس) حينما وقف بوجه (ألفونس) كونه اتّحد مع العرب، وعودته للدّفاع عن السّلطة والملك (رودريك)، ويعدّ هذا الحدث تحوّلًا جذريًّا في الرّواية اجتماعيًّا ونفسيًّا.

نلمح ذلك في حديثه مع ابن أخيه ألفونس "أمّا أنا فإنّي لا أندفع بالغضب ولا أغضب للكلام الفارغ ولكنني أنظر بعين الحقيقة وقد كنت أتوقّع منك هذه الحمية في أول يوم خرج فيه هذا الملك من يدك"[1]

هذا المثال يعزز الصورة النفسية لأوباس، إذ يؤكد قدرته الفائقة على التّحكّم بانفعالاته، ففي قوله (لا أندفع بالغضب و لا أغضب للكلام الفارغ) دليلٌ على نضجه العاطفي، فهو لا يسمح للتّفاهات أو الاستفزازات اللفظيّة بأن تحرّكه، وهذا يعكس قوّة داخليّةً وثباتًا نفسيّاً، و أمّا في قوله(أنظر بعين الحقيقة) تكشف عن شخصية واقعيّة جدّاً، لا تعيش في أوهام أو تنكر الحقائق، و لديه القدرة على رؤية الأمور كما هي، حتى لو كانت مؤلمة أو غير مرغوبة، وهذا يتطلب شجاعة نفسيّةً لمواجهة الواقع، وأمّا في قوله(وقد كنت أتوقع منك هذه الحمية في أول يوم خرج فيه هذا الملك من يديك) تظهر بصورة نفسيّة عميقة ليس فقط في ذاته، وإنّما في الآخرين أيضاً، فهو قادرٌ على التنبؤ بردود أفعالهم بناءً على فهمه لطبيعتهم البشريّة وظروفهم، وهذا يشير إلى ذكاء استراتيجيّ؛ إذ يحلّل المواقف ويضع توقعات لسلوك الأطراف الأخرى، فالموقف الذي يتحدّث عنه ما هو إلّا أزمة سياسيّة واجتماعيّة كبرى، وطريقة تعامل أوباس مع هذه الأزمة بوساطة تركيزه على العقلانيّة وتجنب الانفعال تظهر فهمه لمتطلبات القيادة في أوقات الشدة، فهو يدرك أنّ الموقف يتطلب حلولاً عقلانيّة لا ردود فعل عاطفيّة.

و يؤكّد هذا المثال أنّ أوباس شخصيّة متّزنة، وواقعيّة، وحكيمة، فهو يمثّل نموذجًا للقائد الذي يعتمد على العقل والمنطق في التّعامل مع الأزمات، ويحاول أن يرفع مستوى النقاش من مستوى الانفعال الشخصيّ إلى مستوى التحليل الواقعيّ والبحث عن الحقيقة.

-**البعد الاجتماعيّ:** ترعرع أوباس في البلاط الملكيّ كونه أخا الملك الراحل غطيشة فنشأ في بيئة دينيّة، وكان متمسّكًا عقيدته؛ إذ حمل فكرًا عقائديًّا، فأخذ دور المرشد في أحداث الرّواية، وهذا المثال يوضّح مكانة أوباس في المجتمع" ولأنّه المطران الوحيد من أمّة القوط، أما سائر أساقفة طليطلة فهم من الرومان أو الذين ينتمون لروميّة؛ ولذلك غلب رأيهم وكان أوباس منذ تولّي رودريك قد اعتزل الأعمال إلّا عند الضّرورة، وكان في ذلك اليوم قد صلّى صلاة العيد في منزله ثم خرج بعد الصلاة للجلوس في حديقة المنزل لأنه لم يكن يطيق أن يرى رودريك في ذلك الموكب بدلا من ابن أخيه"[2]

فقوله(ولأنه المطران الوحيد من أمّة القوط أمّا سائر أساقفة طليطلة فهم من الرومان أو الذين ينتمون للروم لذلك غلب رأيهم) فيه دلالة على الانقسام العرقي؛ إذ يبرز أوباس بوصفه علامة دالّة على الانقسام الجذريّ داخل النخبة الكنسيّة والمجتمع القوطيّ، كونه المطران الوحيد من أمّة القوط يضعه في مواجهة الرومان الذين ينتمون للروم، والروم يرمزون هنا إلى التيار المهيمن على السلطة و الحكم، وسيطرتهم على آراء الأساقفة

1**زيدان** جرجي، المصدرنفسه،ص٥٥.
2**زيدان** جرجي، المصدر نفسه، ص٥١.

الآخرين ترمز إلى هيمنتهم الثقافية والسياسية داخل المؤسسة الدينية، أمّا القوط فـ(أوباس) يمثّل الأقليّة القوطيّة داخل هذا الجسم الكنسيّ، ووجوده وحيداً يعبّر عن عزلته، وعدم قدرته على فرض رأيه، وهو ما يرمز إلى تآكل النفوذ القوطيّ حتّى داخل أهم مؤسسات الدولة (الكنيسة)، أمّا غلبة رأي الرومان فترمز إلى أنّ الصراع على السلطة لا يقتصر على العرش فقط، وإنّما يمتد إلى المؤسسات الدينيّة، أمّا اعتزال أوباس للأعمال فليس مجرد قرار شخصيّ، إنّما هو فعل رمزيّ قويّ لرفضه الاعتراف بشرعيّة حكم رودريك بصفته مطرانًا، فمشاركته في الأنشطة الرسميّة تضفي شرعيّة على الحاكم، واعتزاله يرسل رسالة واضحة أنّ هذا النظام غير شرعيّ، أمّا في قوله (قد صلّى صلاة العيد في منزله ثم خرج بعد الصلاة للجلوس في حديقة منزله لأنه لم يكن يطيق أن يرى رودريك في ذلك الموكب بدلاً من ابن أخيه) فصلاة العيد في منزله بدلًا من الكنيسة أو المشاركة في الموكب الرسميّ هو رمز قويّ على الاحتجاج الدينيّ والسياسيّ في مجتمع محافظ، فغياب المطران عن مناسبة دينيّة واجتماعيّة كبرى مثل صلاة العيد يمثّل إهانة علنيّة وتعبيرًا عن الرفض التام للسلطة، أمّا في عدم مقدرته أن يرى رودريك في ذلك الموكب فيرمز إلى الغضب العميق الذي يشعر به قطّاع أوسع من المجتمع تجاه اغتصاب الحكم، ولكنه لا يجرؤ على إظهاره علانيّة.

وأمّا الموكب فهو رمز للسلطة المغتصبة التي يحاول رودريك فرضها، فغياب أوباس عن هذا الموكب هو محاولة لسحب الشرعية الرمزيّة من هذا العرض البصري للقوة.

وبناءً على ما سبق فهذا المقطع يصوّر المطران أوباس ليس شخصية فرديّة فقط، وإنّما رمز معقّد للانقسامات العرقيّة والصراعات الداخليّة على السلطة، ورفض الشرعيّة المغتصبة داخل المجتمع القوطيّ، وكل ذلك يمهّد سيميائيًّا للتغيّرات الكبرى التي ستطرأ على الأندلس.

هـ) شخصيّة طارق بن زياد: شخصيّة ثانويّة مسطّحة ذات مرجعيّة تاريخيّة، فهو من قاد العرب إلى الأندلس، فتحت على يديه، وعلى الرغم من ذلك فقد تعمّد الكاتب أن يقوم بعرض هذه الشّخصيّة بطريقة ثابتة فلم يعطها مساحة كافية في الرواية ، وقد أورد عنها معلومات قليلة، ولم يركّز على صفاتها الجسديّة أو النّفسيّة، وإنّما ركّز على الوظيفة الّتي تؤدّيها داخل السّرد وكأنّه جاء بها ليسدّ ثغرات روايته ويحكم قبضته فيها ، فهو لم يظهرها على أنّها شخصيّة رئيسة، رغم أنّ الرّواية قد حملت اسم فتح الأندلس فكان من المتوقّع أن تحظى هذه الشخصية باهتمام الكاتب كونه القائد الذي قاد الفتح، وقد قدّمها الكاتب بطريقتين مختلفتين.

1- التّقديم المباشر: استخدم فيها ضمير المتكلّم كما في الحوار الّذي دار بين طارق وشيخ طاعن في السّنّ إذ يقول فيه : "انصرف أيّها الشّيخ إلى منزلك وأنت في أمان حتّى تصل إليه، واعلم بأنّنا لم ندخل هذه البلاد إلّا رحمة بأهلها "[1]يبرز هنا دور السلطة والقيادة للقائد عبد الرحمن على هذه الأرض ومن فيها، وفي قوله (أنت في أمان) دلالة على حرصه على سلامة المدنيين بما فيهم كبار السن وقوله (لم ندخل هذه البلاد إلا رحمة) دليلٌ على إعطاء الشّرعيّة لفتوحهم، فلا يعود السبب النهب والغزو، وإنّما رحمةً بأهلها، فدوافعهم إنسانيّة ذات دلالات دينيّة قويّة.

2- التّقديم غير المباشر: اعتمد فيه الكاتب على الوصف الخارجيّ والدّاخليّ للشّخصيّة، وقد جاء الوصف مختصراً.

1**زيدان** جرجي،نفسه، ص١٨٦.

– **البعد الجسميّ** :ذكر الكاتب بعضًا من ملامح الشّخصيّة لتبدو صورة حيّة أمام القارئ، يقول في وصفه "فبان من تحتها جبين عريض تحته حاجبان غليظان، تحتهما عينان قد مرّ بياضهما من الجهد، وله شفتان غليظتان، وشعر لحيته الشّديد السّواد"[1]،فالجبين العريض عادةً ما يشير إلى الذكاء والفطنة والفراسة، أمّا الحاجبان الغليظان ففيهما دلالات قد تشير إلى الشدّة والحزم والقوّة، أمّا العينان اللتان قد اشتدّ بياضهما ففيهما دلالةٌ واضحةٌ على مقدار التعب الذي تتكبّده هذه الشّخصيّة في سبيل الوصول إلى هدفها، فهو لم يصل إلى هذه المكانة إلّا بعد جهد شديدٍ وعناءٍ كبيرٍ، والشفتان الغليظتان تدلّان على سمة وراثيّة، وقد جاء وصفها لتعزيز فكرة الصلابة والقوّة التي طبعت بها هذه الشّخصيّة، أمّا سواد لحيته الشديد ففيه إشارةٌ إلى الشباب والحيويّة مع شيءٍ من الهيبة والوقار، وهذا الوصف يُقدم لنا صورة حيّة لطارق بن زياد،فكل سمة جسديّة فيه تُصبح رمزًا لصفات قياديّة فالوصف هنا يُركّز على الصلابة، والجديّة، والتفانيّ لتحقيق الهدف.

– **البعد النفسيّ:** سار الكاتب على نهج واحد لهذه الشّخصيّة، فاتّسمت بالهدوء النّفسيّ والاجتماعيّ، وكانت ذات هدف محدّد لم يطرأ أيّ تغيير على مسار هذه الشّخصيّة، و لربّما السّبب في ذلك يعود إلى كونها شخصيّة ثانويّة، لذلك لم يولها الكاتب أهميّة كبيرة، كونها لم تقد الأحداث وإنّما جاءت مكمّلة لها. وهذا مثال لحواره مع جنده في المعركة يقول وهو يخاطبهم:"أيّها النّاس أين المفرّ؟ البحر من ورائكم والعدو من أمامكم وليس لكم والله إلّا الصّدق والصّبر"[2] يبدأ طارق خطابه بنداء عام لجميع جنوده مما يخلق شعوراً بالوحدة والهدف المشترك قبل المواجهة الصعبة أمّا في قوله(أين المفر) ففيها مواجهة طارق لجنوده بالواقع الصعب المحفوف بالمخاطر فيقطع أيّ أملٍ أمامهم بالتّراجع، أو الهروب، إضافةً إلى تأكيده حتميّة المواجهة مع العدو وحصر الخيار في الإيمان والصبر من خلال الدعوة إلى التحمّل والثّبات في مواجهة الشّدائد والإيمان بالله والصبر في سبيله.

–**البعد الاجتماعيّ:** كان طارق بن زياد قائدًا بارزًا في الجيوش العربيّة الإسلاميّة، وكان محبًّا للإسلام والمسلمين وغيورًا عليهم، وعلى الرغم من نشأته على الوثنيّة فترةً، لكنّه حينما أسلم نذر حياته كلّها للدفاع عن الإسلام، والمثال الآتي يصف فيه الكاتب نشأة طارق بن زياد "وقد نشأ طارق في الجبال وعاش عيشة البدو وتديّن بالوثنيّة مثل سائر أهله ورفاقه، وقد شبّ قويّ البنية شديد البطش شجاعًا، وكان منذ نعومة أظفاره مشهورًا بين رفاقه بالفروسيّة والقوّة" فالنشأة في بيئة بدويّة ذات ديانة وثنيّة معلومات تقدّم سياقًا اجتماعياً، وثقافياً لنشأته، فحياة البدو غالبًا ما ترتبط بالقسوة، أمّا الاعتماد على الوثنيّة يشير إلى خلفية مغايرة للإسلام، وكذلك صفاته الجسديّة تشير إلى قوته الفطريّة المكتسبة من البيئة القاسية، إضافة إلى أنّ شهرته بين رفاقه بالفروسيّة تؤكد على تفوّقه في هذه المجالات في سنٍّ مبكرة ، أمّا دلالاته الرمزيّة فقد تعود إلى رغبة الكاتب في التشكيك بولاء القائد طارق للمسلمين وحقيقة الفتح الإسلاميّ الذي قاده.

1**زيدان** جرجي، نفسه،ص٢٥٨.
2**المصدرنفسه**،ص٢٥٩.

الخاتمة ونتائج البحث:

ولا بدّ لنا أن نخلص في نهاية دراسة الشّخصيّات السّيميائيّة في رواية (فتح الأندلس) إلى مجموعة من النتائج أبرزها :

1- إنّ شخصيّتي (فلورندا) و(ألفونس) قد حظيتا باهتمام الكاتب، إذ أورد عنهما معلومات وفيرة نثرت على طول صفحات الرّواية حاول من خلالهما أن يقدّم رؤيته في تلك المرحلة بوساطة استخدامها شخصيّات إشاريّة قدّم من خلالهما نظرته وفكره عن تلك المرحلة.

2- إنّ سيميائيّة عنوان (فتح الأندلس) أوضحت غاية الكاتب في جعل فتح الأندلس طاقة النّجاة الّتي فتحت لبطلي الرّواية (فلورندا) و(ألفونس)، وكأنّه أراد أن يوظّف الفتح لغايات أخرى، فحاول أن يذهب بعقل القارئ إلى أنّ الفتح إنّما كان من أجل أن يجتمع بطلا الرّواية مع بعضهما.

3- إنّ الكاتب جورجي زيدان قد اعتمد في دراسة مدلول الشّخصيّة على مبدأي التّدرّج والتّحوّل في رسم الشّخصيّات، ولا سيما الرّئيسة منها أكثر ممّا لدى الشّخصيّات الثّانويّة، وربّما يعود السّبب في ذلك إلى أنّ السّرد كان قائمًا بها وعنها.

4- قام الكاتب بتصوير التّحوّلات الاجتماعيّة والنّفسيّة الّتي تعرّض لها أبطال الرّواية، وهذا يدلّ على مدى ترابط الشّخصيّات فيما بينها كونها متلاحمة مع الأحداث وقائدة لها.

5- يمكن الاعتماد على المنهج السّيميائيّ في دراسة عناصر الرّواية، ولا سيما الشّخصيّة بوصفها الفاعل الأساسيّ والمحرّك في الرّواية.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١ **_إسماعيل** عزالدين،٢٠١٣-**الأدب وفنونه دراسة ونقد.** ط٩،دار الفكر العربي، القاهرة.

٢ **_بحراوي** حسن،١٩٩٠-**بنية الشكل الروائي.** ط١،المركز الثقافي العربي،بيروت.

٣ **_حسن** محمدعبدالغني،١٩٧٠-**جرجيزيدان.** د.ط،الهيئة المصريّة العامّة للتأليف والنشر، القاهرة.

4-الحتّي حنا نصر،2003،**قاموس الأسماء العربيّة والمعرّبة**،ط3،دار الكتب العلميّة،بيروت.

5 _درويشأحمد،١٩٩٤-**أحمدالشايبناقداً**.ط١،الهيئةالمصريّةالعامّة للكتب، القاهرة.

٦-**ابن الزبير** محمد،١٩٩١-**موسوعة السلطان قابوس سجل سماء العرب.** ط١،مجلد٣،مكتبة لبنان،بيروت.

٧ **_الزركلي** خيرالدين،٢٠٠٢-الأعلام. ط١٥،مجلّد٢،دارالعلمللملايين، بيروت.

٨ **_زيدان** جرجي،٢٠١٢-**فتح الأندلس**،د،ط،مؤسسةهنداوي،القاهرة.

٩ **_أبوشريفة**عبدالقادروقزق حسين لافي،٢٠٠٨-**مدخل إلى تحليل النصالأدبي**.ط٤،دارالفكر العربي، الأردن.

١٠-**فيليب**هامون،د.ت-**سيمولوجياالشخصيّاتالروائيّة**.تر:سعيدبنكراد، ط١،دارالحوارللنشر،اللاذقيّة.

١١-**لحمداني** حميد،١٩٩١-**بنية النص السرديّ من منظور النقد الأدبيّ.** ط١، المركز الثقافي العربي،بيروت.

١٢-**مرشد**أحمد،٢٠٠٥،**البنيةوالدلالةفي روايات إبراهيم نصرالله**،ط١،المؤسسةالعربيةللدّراسات والنشر،بيروت.

The Character in The Novel (The Conquest of Andalus) by Jurji Zaydan a Semiotic Approach

Dr.QasimAl-Qahtani

NouraMisbahAl-Fetaih

Abstract

The novelistic literature serves as a mirror that reflects and reshapes reality, offering worlds and characters that transcend time and place to settle deeply in the reader's consciousness. Within this framework, the works of the prominent Arab novelist Jurji Zaydan represent a pivotal milestone in the history of Arabic fiction—particularly his historical novels, which skillfully intertwine narrative storytelling with the personalization of history. Among these works, The Conquest of Andalusia stands out for its depiction of significant historical transformations, not only through major events but also through the construction of characters that carry profound symbolic meanings beyond their apparent narrative functions

This research focuses on the analysis of the novelistic character by examining its psychological and social traits through the lens of semantic and symbolic structures. This is made possible through a semiotic approach, which aims to deconstruct the signs and symbols embedded within the text, revealing the hidden meanings and layers embedded in the characters. The study explores how these meanings are shaped through the interaction between narrative and historical contexts